"جوانب من الإسقاط الفيزيائي الكمّي في تفسير الدّرس اللّساني العربي"
- محاولة في إعادة صياغة الدرس النّحوي الكلاسيكي-

مرني صنديد محمّد نجيب *

المحور الرابع: مفاهيم لسانيات التراث في ضوء اللسانيات الحديثة .

ملخّص :

لعلّ المتأمل في الممارسة النّحويّة الكلاسيكيّة، يلمس المعالجة الوظيفيّة النّحويّة للعناصر اللّسانيّة، بعدّها مورفيميّة صرفة، تؤدّي وظيفة نحويّة، ومنها الوظيفة الاتّساقيّة، في المستوى الأفقي، الّذي يخصّ البنية اللّسانيّة، ومنها الوظيفة الدّلاليّة، في المستوى العمودي،الّذي يخصّ دلالات البنية اللّسانيّة. ويظلّ المنظور إلى تلك العناصر وظيفيّا، لا يتعدّاه إلى تمفصلاتها الفونولوجيّة الصّرفة، فقد تكون مفسّرةً لكثير من المباحث الوظيفيّة ذاتها، في ملمس أكثر عمقاً وتحليلاً، وأدقّ علميّةً وتخريجاً، وتباين بهذا تلك الإخراجات الكلاسيكية مباينةً جليّةً.

وقد تبيّن هذه التّمفصلات الفونولوجيّة ما استغلق تفسيره من المباحث النّحو؛ كالّذي هو حادث في العلوم الدّقيقة، ومنها علم الفيزياء، الّذي خطا خطوةً كبيرة،إذ يظهر جليّاً الفرق البائن، بين التّصوّر الفيزيائي الحركي لدى"**نيوتن**"، والتّصوّر النّسبي لدى"آينشتاين"، والتّصوّر الكمّي لدى"**ماكس بلانك**"لتفسير الظّواهر الطّبيعيّة الفيزيائيّة العلميّة، الّتي تعسّر تخريجها، بما أمكنه العلم،مع تقادم الزّمن، وتوافر الوسيلة والتّقانة، فكان أدقّ تأويلاً، وأقدر إيضاحاً.

الكلمات المفتاحية :

أحرف النّسق، الوظيفة، الفونولوجيا، لسانيات الكمّ.

- **توطئة :**

إنّ استثمار المباحث الفونولوجيّة، في الدّرس النّحوي، ومنه باب أحرف النّسق، على هذا النّحو، يمكّن المشتغلين بالدّرس اللّساني العربي، من الوقوف على الظّواهر اللّسانيّة للمباني العربيّة، بما تنتجه المدنيّة العلميّة الحديثة، من تفاعل بين العلوم عامّةً، الإنسانيّة والدّقيقة، لاسيما أنّ اللّسانيّات تجنح إلى المنظومة العلميّة الدّقيقة[1]، وما تفرزه من نظريّات، مفسّرة لما استعصى تأويله، في سابق الأزمان، من ذاك المباحث الكيميائيّة لفيزياء الكمّ، الّتي يمكن التّعويل على فلسفتها، في المقاربة الإجرائيّة اللّسانيّة، للمدوّنات العربيّة عموماً، والمدوّنة القرآنيّة على وجه أخصّ، وهي النَّصّ الرّبّاني المقدّس الّذي"**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**"[2]، وبعدّها ميداناً لعمل اللّساني التّنظيري، وأنموذجاً للأقيسة الكلامية العربيّة المثاليّة.

* –أ.مرني صنديد محمد نجيب، جامعة عين تموشنت.

- **الإشكاليّة :**

لعل المستشكل الأوّل، إلى يصطكّ النّاظر إلى هذا الأمر، صحّة القرب اللّساني من العلوم الدّقيقة، لتكون ميداناً لتفسير الظّواهر اللّسانيّة عامّةً، والعربيّة منها خاصةً.

ينضاف إليه من الإشكال أيضاً، صحّة المقاربة الكيميائيّة الكمّيّة أنموذجاً إجرائيّاً لسانيّاً، في تحليل المباحث النّحويّة الكلاسيكيّة، وتفسير المستغلق منها، وتأويل ديناميّة العمل فيها.

ويزيد عليه بالسّؤال، مدى قوّة هذا الإجراء اللّساني، المستحدث في غير موطنه- بحسب من يرون ذلك- ودرجة نفعيّته،من نتائج محصّل عليها، ورصانتها وقوّة صلابتها.

وقد يركمه سؤال آخر، عن حجيّة هاته المقاربة العلميّة، ومدى استقرار النهج على أمرها، ودرجة دمغ المنطق بحجاجيّتها، وقوّة اعتمادها منهجاً إجرائيّاً لمعالجة المباحث اللّسانيّة.

- **أحرف النّسق في الدّرس النّحوي :**

لقد تقرّر لدى النّحاة أنّ عطف النّسق تابعٌ يتوسّطه ومتبوعه أحد أحرف النّسق[3]؛ وهي في مجموعها: (**الواو- الفاء- ثمّ- حتّى- أو- أم- بل- لكن- لا- ليس**)[4].

وهي بالنّظر إلى تمفصلها الكمّي الفونولوجي على النّحو الآتي[5]:

1- الواو:[(1)(cv)] شفوي متّسعٌ مذلقٌ رخوٌ.

2- الفاء:[(1)(cv)] شفويٌ ضيّقٌ مذلقٌ رخوٌ.

3- ثمّ:[(1-3)(cvc-cv)] الثّاء لثويٌ منفوخٌ رخوٌ، به بعض الاستطالة، والميم شفويٌ مذلقٌ.

4- حتّى:[(2-3)(cvc-cvv)] الحاء حلقيٌ رخوٌ، والتاء من أصول الثّنايا شديدٌ، والألف من الجوف ينساب الهواء فيه، على كامل التّجاويف، حتّى يخرج من الفم.

5- أو:[(3)(cvc)] الهمزة حنجريٌ شديدٌ، والواو شفوي متّسعٌ مذلقٌ رخوٌ.

6- أم:[(3)(cvc)] **ذكر** الهمزة؛ والميم شفوي مذلقٌ مائعٌ متوسّطٌ.

7- بل:[(3)(cvc)] الباء شفويٌ شديدٌ، واللاّم منحرفٌ مذلقٌ مائعٌ متوسّطٌ.

8- لكنْ:[(3-2)(cvv-cvc)] ذُكر اللاّم والألف قبل هذا، والنّون منحرفٌ مذلقٌ مائعٌ متوسّطٌ أغنٌ.

9- لا:[(2)(cvv)] ذكر اللاّم والألف.

10- ليس[(1-3)(cvc-cv)]ذكر اللام؛ والياء الصّامت شجريٌّ غاريٌّ رخوٌ، والسّين أسليٌّ صفيريٌّ رخوٌ.

هذا؛ وتحيلنا عمليّة الإحصاء والجرد لأحرف النّسق، على جملةً من الموافقات الدّلاليّة، لمعنى العطف للتّبعيّة، إلاّ أنّها تتفاوت في مقدار الدّلالة، بحسب ما يتضمّنه الحرف[6] من فونيمات، تتناسب والمعنى النّحوي، الّذي جيء به له، وليدلّ عليه؛ وقد تراصف على النّحو التّالي:

1- تحوي أحرف النّسق العشر:(**5-6**)من مجموع فونيمات الذّلاقة(فر من لب)، بنسبة**83.33**%، وقد خلت من فونيم الرّاء، الّذي يدلّ على دلالة التّكرار ذاتها في أغلب أحوالها[7]،إذ هو غير مناسب لدلالات النّسق،في هذا الباب؛وإنّما يؤتى بحرف النّسق اتّقاءً لتكرار ذكر العامل في المعطوف عليه المتبوع، والمعطوف التّابع؛ وعلى هذا يفسّر خلو أحرف النّسق من فونيم الرّاء، بما هو في وظيفة أحرف النّسق النّحويّة، وذلك في إقام علاقة الارتباط،بين التّابعين، دون إعادة ذكر العامل، الّذي ذكر في الأوّل منهما.

2- تضمّ أحرف النّسق(10-24) من فونيمات الذّلاقة، بنسبة 41.66%، و(12-24)بنسبة50%، إن عدّ فونيم الواو منقلباً عن الفاء،لاسيما وأنّ الواو"VAV"، والواو العاطفة"ו"، في النّطق العبري[8]؛ وهو الّذي لا مقابل له

في الفونيمات العربيّة،ولا صورة في الرّسم العربي، إلاّ أنّه فونيم شفويٌّ مجهورٌ، ويقابل فونيم الفاء، وهو نظيره المهموس.

3- توحي هذه النّسب للخصائص الكميّة الفونيميّة، إلى موافقة بين المناسبة الدّلاليّة لفونيمات الذّلاقة، لمعنى الارتباط والاتّساق، بين الوظيفة النّحويّة لأحرف النّسق، في التّراكيب والنّصّ، من حيث الرّبط، والنّسق والتّبعيّة؛ من ذاك أنّها تسهّل ارتباط وحدات التّراكيب، في سلاسة نصّيّة[9]، كتلك الحال في فونيمات الذّلاقة، الّتي تحقّق الانسياب النّطقي للكلم، وتنوء به عن الثّقل اللّفظي، والكلفة الفونيميّة[10].

4- تحوي أحرف النّسق نسبة50% من المقطع الثّالث"cvc"، ونسبة28.57% من المقطع الأوّل"cv"، و21.43% من المقطع الثّاني"cvv"، ممّا يشير إشارةً واضحة المعالم، من تمكّن الحرفيّة[11] في أحرف النّسق ولعل في اعتماد المقطع الثّالث، المقفل بصامت،بحظٍّ أوفر،مفسّراً بما له من السّهولة واليسر،حين النّطق به، وحين الانتقال به إلى ما يليه من باقي فونيمات الكلم، ومقاطعه الصّوتيّة، في التّراكيب الحاوية له.

- **الأنموذج اللّساني الكمّي الفونولوجي لأحرف النّسق :**

تتباين أحرف النّسق بحسب اللّفظ والدّلالة، فيما يلي:

1/ما اشترك فيه المعطوفان: لفظاً ودلالةً[12]:

أ/مطلقاً؛ وهي:الواو، **والفاء**، وثمّ، وحتّى.

ب/مقيّداً؛ وهما: **أو**، وأم؛ وقيدهما عدم اقتضاء الإضراب[13].

2/ما اشترك فيه المعطوفان لفظاً[14]:

أ/ما ينفي ما قبله،ويثبت ما بعده؛ وهما:"**بَلْ**"الإجماع عليها، و"**لَكِنْ**"عند سيبويه، ومن وافقه من الجمهور[15].

ب/ما يثبت ما قبله، وينفي ما بعده؛ وهما: "**لا**"عند جميعهم، و"**ليس**"عند البغداديين والكوفيين[16]؛ ومنه شاهد لبيد(**41هـ**):

* **إنمّا يَجْزِي الفَتَى لَيْسَ الجَمَلْ**[17].

ولعلّ ما يفسّر هذا فونيمياً،كون الأحرف الأربعة،الّتي يشترك فيها المعطوفان،في اللّفظ والدّلالة مطلقاً، لها من المرونة الكميّة الفونيميّة، للجمع بين المعطوفين، في حين أنّ ذلك غير متوافر لنظائرها العاطفة، في غير هذا المقام. إذ اجتمعت فونيمات هذه الأحرف، عند مخرج الشّفة، وما يقربه من أصول الثّنايا؛ مما يوحي دلالةً على الاجتماع، لما في الفونيمات الشّفويّة، من الخواصّ الفيزيائيّة، الّتي تومئ إلى الجمع والضّمّ، موافقةً لضمّ الشّفتين وإطباقهما[18].

وأمّا ما تقيّدا بشرط عدم اقتضاء الإضراب، فالملاحظ عليها ضمّهما لهمزة قطعٍ، الّتي توحي بانقطاع مطلق الجمع، إلاّ بما اشترط؛وذاك لما في الهمزة من عسر النّطق[19]، إذ اختلّت المرونة الكميّة الفونيميّة،الّتي توافرت للأحرف الأربعة الأوّل، الدالّة على مطلق الجمع والاشتراك. ولمّا اختلّت المرونة الصّوتيّة بثقل الهمزة، ثقُل الحرفان(أو-أم)لفظاً،فقابلته الدّلالة باشتراط خلو الكلام من الإضراب تخفيفاً، بعد ثقل الهمزة.

وأمّا الأحرف الّتي يشترك فيها المعطوفان لفظاً لا دلالةً، فقد تُفسّر بكونها، وعلى الرّغم من ضمّها للفونيمات المذلقة، إلاّ أنّها ضامّة لفونيم اللاّم المنحرف، وما يشعّ منه من دلالة في معنى الكلام، إيجاباً وسلباً[20] من نفي لما سبقه من الكلام، وإثبات ما بعده، بعد انحراف المعنى الأوّل، إلى نظيره الثّاني، وانعكاس هذا كلّه، من إثبات ما سبق، ونفي ما لحق.

- **الأنموذج اللّساني الكمّي الفونولوجي لأحرف النّسق :**

لقد تبينّ من مقارعة الخواصّ الكميّة الفونيميّة لأحرف النّسق، استخلاص بعض الملاحظات، وقد تمثّلت فيما يلي:

1/ لقد وافق ضمّ الشّفتين، عند النّطق بفونيم الواو، اشتغال حرف **الواو** بمطلق الجمع[21]، بين المتأخّر حكماً والمتقدّم؛ في نحو قوله **عزّ وجلّ**: "**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ**"[22]، وبين المتقدّم والمتأخّر؛ في نحو **قوله تعالى**:" **كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ**"[23]، وبين المتصاحبين[24]؛ في نحو **قوله جلّ جلاله**: "**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**"[25]. وقد اتّضح من هذا كلّه، أنّ الضّمّ أقرب دلالةً إلى الجمع؛ إذ يضمّ التّركيب المعطوفين بالحرف العاطف، لقلّة حروفه رسماً، وخفّة صوته نطقاً، في أغلب أحواله، فيتمّ إلحاقه بما يسبقه من الكلام،وليجمعهما الإعراب لفظاً، والحكم دلالةً أيضاً؛ والواو أمكن لهذا من غيرها على ما أقرّه النّحاة[26].

2/ لقد اختصّت الواو أيضاً، بالجمع بين الطّرفين، اللّذين لا يكتفي الكلام عندهما، إلاّ بحضورهما كالاختصام: في نحو:"اختصم زيدٌ وعمروٌ"، والتّضارب؛ نحو: "تضارب زيدٌ وعمروٌ"، والاصطفاف؛ في نحو: "اصطفّ زيدٌ وعمروٌ" والبينيّة: في نحو: "جلست بين زيدٍ وعمرٍو"، فقد تبين اقتضاء الكلام وجوب حضور الطّرف الثّاني مفرداً أو متعدّداً، ليتمّ ذلك دلالةً، عند اقترانه بالطّرف الأوّل.

3/ ذكر النّحاة اعتراض الأصمعي(**216**هـ)على بيت امرئ القيس، في مستهلّ المعلّقة، في قوله:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ÷ بسقط اللِّوى بَيْنَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ[27].

ورأى الصّواب، أن يكون كلامه على: "**بين الدّخول وحومل**"[28]، على اعتبار البينيّة، الّتي تقتضي **الواو**، دون غيرها من أحرف النّسق؛ إلاّ أنّ ابن هشام(**761**هـ)يردّ رأيه هذا،بالتّخريج المحتمل، أنّ الكلام: "**بين أماكن الدّخول فأماكن حومل**"[29]، للبينيّة في المكان، وعلى التّكرار في لفظ"أماكن"، ممّا سوّغ إجازة وضع الفاء موضع الواو ههنا. ويظلّ هذا الاحتمال قائماً، إلاّ أنّ الشّاهد النّحويّ يتكرّر مع الشّاعر ذاته، في البيت الّذي يليه، من قوله:

فَتُوضِحَ فَـالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسمُهاَ ÷ لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ[30].

وقوله أيضا: **مَا هَاجَ هَذَا الشّوقَ غَيرُ مَنَازِلٍ ÷ دَوَارِسَ بينَ يَـذْبُلٍ فَذِقَانِ**[31].

وقول كثيرّ عزّة: **وَرُسُومُ الـدِّيَارِ تَعْرِفُ مِنْهَا ÷ بِالمَـلاَ بَيْنَ تَغْلَمَيْنِ فَرِيمِ**[32].

ومراعاةً للخصائص اللّهجيّة المتشابهة عند الشّاعرين، وعلى الرّغم من اختلاف العامل الزّمني بينهما، إلاّ أنّ الظّاهرة اللّسانيّة هاته واحدةٌ، ممّا يرجّح أنّها من العوائد اللّهجيّة اللّسانيّة المغفول عنها، فلا تستدعي تخريج ابن هشام-الّذي سبق هذا-وذلك أنّ الفاء تعوّض الواو،لما لهما من الخصائص الفونيميّة الجامعة، والمشتركة بينهما لهما؛ ما يجعل استعمال الفاء في هذه التراكيب ممكناً، مع بعض الفروق الدّلاليّة اليسيرة، في الموضعين والاستعمالين.

4/ ذكر السّيرافي (**368**هـ) إجماع النّحاة البصريين والكوفيين، على أنّ الواو للجمع، من غير ترتيب[33]، وهو غير صحيحٍ، يردُّ من رواية بعض الكوفيين، أنّ **الواو** للتّرتيب أيضاً[34]؛ ولمّا تبين تضارب الرّأيين، في استعمال الواو للتّرتيب من عدمه، واختصاص الفاء بالتّرتيب، وجواز استعمال الواو، في هذا المقام، على ما ذكره الكوفيون؛

ينضاف إليه ما لوحظ قبل هذا، من استعمال الفاء عوضاً عن الواو، في البقاع والبينيّة، وتشابه الخصائص الكميّة الفونيميّة للحرفين أيضاً، يمكن من هذا كلّه ترجيح الاحتمال القائم، في كون العرب تستعمل **الواو** في موضع التّرتيب، وهو الغالب، وبه جاء القرآن الكريم؛ في نحو **قوله عزّ وجلّ**: "**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ**"[35]، على شبهيّته للفاء في خصائصه الكميّة الفونيميّة، فقابله بمشابهته في دلالة التّرتيب. وتستعمل الواو دون أن ترتّب، وهو الأقلّ حظّاً،على أنّه واوٌ خالصٌ، لا يشابه فونيم الفاء في الخصائص ولا في الدّلالة.

هذا؛ ويستعمل التّعبير القرآني **الواو**، في غير ترتيبٍ-على لسان النّحويين-في نحو **قوله تعالى**: "**وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ**"[36]، فيقدّم عيسى، على أيوب عليهما السّلام، في ظاهر الآية؛ إلاّ أنّ فضل عيسى على أيوب عليهما السّلام بيّنٌ جليٌّ، محلّه التّقدّم

ههنا. ولأدلّ على هذا شاهد البقرة، من **قوله جلّ جلاله:"تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ"**[37]. وعلى هذا يكون الترتيب في النّص القرآني الكريم واجباً،اقتضته القداسة؛ إذ يحُتمل في انتفاء التّرتيب إمكانيّة التّصرّف الذّهني، وهذا محالٌ في حقّه.

وقد يجُاب عن سائلٍ فرضاً، في ورود بعض الآي مرتّبةً في مواضع،وغير مرتّبةٍ في أخرى؛من ذاك **قوله عزّ وجلّ:"رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ"**[38]، **وقوله تعالى** في طه:**"قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى"**[39]. إنّ التّرتيب في القرآن الكريم مقدّرٌ، وإن خَفِيَ في ظاهر الآي، إلاّ أنّه متضمّنٌ في السّياق.

وأمّا شاهد الأعراف، وما كان شبيهه من الفواصل، فمفسّرٌ بالتّرتيب الزّمني للنّبيين عليهم السّلام، وبالتّفاضل بينهما، كما ذكرت آية البقرة[40]. وينضاف إليه إقرار السّحرة بربوبية الله عزّ وجلّ، فقد أزالوا كلّ الشُّبهات المحتملة، لمن اعتقد أبوّة فرعون لموسى عليه السّلام، وأعقبوا على ذكره بهارون[41] عليه السّلام؛ لذا وجب التقدّم، في هذا الموضع، على التّرتيب المتخيّل.

وأمّا شاهد طه، وهو محلّ الخلاف، في إتباع التّرتيب، بسبق الفاصلة القرآنية، ومراعاةً لها لفظاً، على سبيل إيقاع المناسبة[42]، فهو مفسّرٌ بما بنى عليه المفسّرون من احتمالٍ؛ من ذاك ترّقي درجة هارون، في مقام العرفان، فتقدّم أخاه موسى عليهما السّلام[43]. ويعضده أيضاً أنّ التّقديم، في هذا الشّاهد، إنمّا لدفع التّوهّم، عمّن اعتقد ربوبيّة فرعون،وأبوّته لموسى،إلاّ أنّه لم يربِّ هارون عليهما السّلام،فتقدّم في الآية[44].وقد تكون الخيفة سبباً، في التّقديم والتّأخير، إذ لم تذكر إلاّ في هذا الموضع، وقد عرفت الخيفة من قبل موسى، لا من هارون، بنصّ الآية في **قوله جلّ جلاله: "قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ"**[45].

5/ لقد تبينّ استعمال العرب الواو موضع الفاء في التّرتيب من عدمه، إذ إنّ التقارب المخرجي، والتّشابه في الصّفات الكميّة الفونيميّة، يرجّح الاستعمال الدّلالي الحرفي للمعنى في هذا الباب، أو هو مرجّحٌ بلهج بعض العرب، فتُبدل الفاء من الواو. وعلى عدم الاستعمال، تنعدم شفاعة القرب المخرجي، وتشابه الصّفات الكميّة الفونيميّة، فيكون الواو والفاء فونيمين خالصين في المبنى، ومتباينين في دلالتهما على المعنى.

6/لقد اختصّت الفاء بالتّرتيب والتّعقيب، في أكثر أحوالها[46]؛ وأمّا التّرتيب، فعلى ما ذكر قبل هذا، وأمّا التّعقيب، فقد يوافقه ما في فونيم الفاء ضيق المخرج، وانحصار النَّفَس، وقِصَر الزّمن، عند النّطق به، وهو غير متوافرٍ في الواو، وإن كان شبيهاً له، وقد يكون هو المعبرّ عنه عند النّحاة في نصّهم: "بلا مهلةٍ"[47]، دلالةً على

انحصار الزّمن في وقوع الحدث التّالي لما قبله؛ في نحو **قوله عزّ وجلّ: "ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ"**[48]، أو من المعطوف على ما سبقه في حدث واحدٍ؛ في نحو:"جاء زيدٌ فعمرٌو".

وإن أُحتجّ على التّرتيب والتّعقيب، في نحو **قوله تعالى:"أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا"**[49]، يجاب بنصّ المفسّرين[50]، على إرادة الإهلاك في**"أَهْلَكْنَاهَا"**قبل وقوعه؛ ومنه جاءت آية الوضوء،في قوله: **"إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ"**[51] على نيّة القيام للوضوء، قبل الشّروع فيه. ويجاب أيضاً أنّ الإرادة منه **عزّ وجلّ** سابقةٌ لأمره،في نفاد ما أمر به، كما في **قوله جلّ جلاله: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ"**[52] والنّيّة في خاطر صاحبها سابقةٌ لشروعه فيما أراد.

ويعضده ما ذكر في وقوع الفاء موقع التّرتيب والتّعقيب، في الآية المحتجّ بها، في **قوله تعالى: "بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ"**[53]، أنّ اختصاص العذاب والبأس، في البيات والقيلولة، أشدّ تنكيلاً، وأفظع حالاً، إذ هما وقتا الغفلة والدّعة، ومباشرة العذاب فيهما، بمثل ما كان في حقّ قوم لوطٍ عليه السّلام عند السَّحَر من الّيل، وفي حقّ قوم شعيب عليه السّلام أيضاً، وهم قائلون[54].

هذا؛ وقد وافق التّرتيب والتّعقيب، ما نكّت به النّصّ القرآني العظيم، من تعاقب الوقتين عند طرف الآية الكريمة، لتعاقب القصص للنّبيين عليهم السّلام، في مواطن عديدةٍ[55].

وأمّا من يحتجّ بنيابة الفاء عن ثمّ، في قوله **عزّ وجلّ: "فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ"**[56] بتراخي الزّمن، فجوابه أنّ المرعى الأخضر، قد يصير غثاءً، في زمنٍ قصيرٍ، بفعل البرودة والصّقيع، والرّيح والسّيل، وغير ذلك من عوامل الطّبيعة[57].

7/لقد ذكر ابن هشام عن الزّمخشري(538هـ)أنّ للفاء ثلاث دلالات في التّرتيب[58]؛ وهي على النّحو الآتي:

أ- التّرتيب الوجودي الحقيقي؛ نحو قول الشّاعر:

يَا لَهْفَ زَيَّابَةَ لِلْحَارِثِ الـــــــ÷ـــــصَّابِحِ فَالْغَانِمِ فَاللاَّيِبِ [59].

أي:الّذي صَبحَ فَغَنِمَ فَآبَ.

ب- التّرتيب التّفاوتي في الصّفات؛ نحو قولك:"خذ الأكمل فالأفضل"و"واعمل الأحسن فالأجمل".

ج- التّرتيب المتعلّق بالموصوف ذاته؛ نحو قولك:"رحم الله المحلّقين فالمقصّرين".

8/ يكثر إلحاق دلالة السّبب،على التّرتيب والتّعقيب في موضع الفاء، شريطة أن يكون المعطوف جملةً؛ في نحو قوله **جلّ جلاله:"فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ"**[60]،أو صفةً[61]؛نحو:**"لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ*فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ*فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ"**[62].

وقد يجيء لمجرّد التّرتيب والتّعقيب، دون السّببيّة؛ في نحو **عزّ وجلّ:"فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ *فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ"**[63].

9/ لقد اختصّت الفاء، بما تنماز به من دلالة السّببيّة، وخفّة الكم الفونيمي فيها وذلاقته، وانسيابها ولطافتها، عن باقي نظائرها من أحرف النّسق، بأنّها تعطف على الصّلة، في موضع لا تصحّ أن تكون صلةً، لخلوّها من ضمير الموصول العائد[64]؛ في نحو:"الّذي يطير، فَيَغْضَبُ زيدٌ الذّباب"، ونحو:"الّذي يقوم أخواك، فيغضبُ هو زيدٌ"، ونحو قوله **جلّ جلاله: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً"**[65]، وقول ذي الرّمّة(**117**هـ): **وَإِنْسَانُ عَيْنِي يَحْسِرِ المَاءَ تَارَةً ÷ فَيَبْدُو وَتاراتٍ يجُمُّ فَيَغْرَقُ**[66].

وفي نحو:"جاء زيدٌ، فتبكي هندٌ"و"جاء زيدٌ،تبكي هندٌ فيضحك". وهذا جارٍ في الأخبار والنّعوت والأحوال، المشتملة على حمل الضّمير، العائد على ما قبله، من المبتدأ والموصوف، وصاحب الحال؛ فتبين أنّ الخفّة السّببيّة في الفاء أزالت الثّقل، الحاصل في الصّلة المعطوف عليها، ولخلوّها من الضّمير، العائد فرضاً على ما قبله.

هذا؛ ولم يجزْ النّحاة، لغير الفاء في هذا الموضع[67]من العطف، دفعاً للثّقل الحاصل، فيما ذُكر قبل هذا. فالواو إن اقترنت الفاء في الإخاء، في مواطن كثيرةٍ، من الصّفات الكميّة الفونيميّة، والدّلالة المترتّبة على ذلك،إلاّ أنّها أثقل من الفاء بما يكفي، من عدم جوازها، في عطفها على صلةٍ، لا تصحّ أن تكون صلةً في موضعها، وإن اشتمل التّركيب الّذي بعدها على الضّمير العائد على ما قبله.

10/لقد وافقت الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة لفونيم الثّاء، بما فيه من استطالة النّفخ، والميم المدّغم في مثيله، ما نصّت عليه كتب النّحو، من دلالة **ثمّ** على معنى التّرتيب، بانفصال الزّمن، ومهله وتراخيه[68]؛ في نحو قوله **عزّ وجل: "فَأَقْبَرَهُ*ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ"**[69].

وقد ذكر ابن هشام أنّها تفيد ثلاث معانٍ: التّشريك في الحكم، والتّرتيب والمهلة، على خلاف في هذه الثّلاث[70]. وأمّا التّشريك في الحكم، فعلى احتمال تخلّف المعطوف عليه على المعطوف[71]، بأن تقع ثمّ زائدة، فلا تكون عاطفةً البتّة[72]، عند الأخفش(215هـ) والكوفيين[73]. وعلى هذا حملوا **قوله تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا"**[74]على تقدير**"تَابَ عَلَيْهِمْ"**جواباً لشرط إذا،وزيادة ثمّ؛ وتعالى القرآن الكريم،عن الزّيادة والنّقصان،حقيقةً أو تقديراً، فتبين فساد التّقدير ههنا. أو يُقَدَّرُ الاستئناف بثمّ، فيما نصّ عليه

الفرّاء(207هـ) من استئناف العرب بثمّ، والفعل الّذي بعدها قد مضى قبل الفعل المذكور أوّلاً[75]، إذ يقولون: "أخبرتك أنّي أعطيتك اليوم، ثمّ أخبرتك أنّي أعطيتك أمس". وعليه استقرّ رأي الأخفش[76].

ويكون على هذا تخريج الآية، على توكيد المعنى، في توبة الله تعالى على الثّلاثة، في قوله جلّ جلاله: **"وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا"**[77] بالعطف على ذكروا، في قوله عزّ وجلّ قبل هذا: **"لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ"**[78].

وأمّا حمل تخريج الآية على بيت زهير(609م)، في قوله:

أَرانِي إذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ ذا هَوىً ÷ فَثُمَّ إذا أَمْسَيْتُ أَمْسَيْتُ غَادِيَا[79].

من زيادة **الفاء**، بدخولها على"**ثمّ**"، فلم يأتِ به التّنزيل، من دخول الحرف على الحرف، فيحكم بزيادة أحدهما؛ وقد تنزّه القرآن الكريم عن هذا.

وأمّا دلالة "ثمّ"على التّرتيب، فعلى الخلاف في هذا، وقد تبيّن من رأيي الأخفش والفرّاء، أنّ العرب قد تعطف المتقدّم زمناً على المتأخر بثمّ[80]؛ ومنه بيت أبي نوّاس(199هـ)، وهو من المولّدين، الّذين لا يُستشهَد بشعرهم في النّحو: **إنَّ مَنْ سادَ ثُمَّ سادَ أَبوهُ ÷ قَبلَهُ ثُمَّ قَبلَ ذَلِكَ جَدُّه**[81].

وحمل بعضهم على هذا الرّأي تخريج قوله **جلّ جلاله: "خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا"**[82]، وقوله: **"وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ*ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ"**[83]، **وقوله أيضاً: "ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا"**[84] ؛ ولا يجوز هذا في حقّ القرآن الكريم، أن يقاس بكلام العرب، شعرهم ونثرهم، وفيه من الخطأ بقدر الصّواب، وتعالى كلام الله **عزّ وجلّ** عن هذا علوّاً كبيراً.

وأمّا الآية الأولى، ففيها من الجواب على هؤلاء، في أكثر من ردّ[85]؛ إلاّ أنّه يُكتفى بذكرها الفرع بعد الأصل، بتراخي الزّمن. وأنّ المقصد بالعطف بها ترتيب الأخبار المتعلّقة بالأحداث، بحظٍّ أوفر، لا لترتيب الحكم، الّذي يعدّ ثانويّاً.

وأمّا آيات السّجدة، فقد قال بها العلم الحديث، تماماً كالوصف القرآني، من مراحل تشكّل الجنين في رحم المرأة. وعلى هذا، فقد تبيّن فساد عطف جملة"**سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ**"على"**وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ**"عند ابن هشام[86].

11/ لقد ذكر النّحاة[87] وقوع"**ثمّ**"موضع **الفاء**، واستشهدوا ببيت أبي دؤاد الإيادي، في قوله:

كَهَزِّ الرُّدَيْنِيِّ تحْتَ العَجَاجِ ÷ جَرَى في الأَنابِيبِ ثُمَّ اضْطَرَبْ[88].

وحملوا عليه قوله **تعالى: "ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا"**[89]. وهو قياسٌ فاسدٌ، من وجوهٍ عديدةٍ؛ لعل منها:حمل كلام الله **عزّ وجلّ** على كلام البشر، وهو كثير في مصنّفات النّحاة المتقدّمين. ومنها أنّ الوصايا في التّكاليف التّسع المذكورة، لبني آدم كلّهم، من بداية زمن التّكليف، إلى يوم القيامة[90]، على فترة من الزّمن؛ وثمَّ أصلح لهذا من الفاء، لسبق التّكليف عهد موسى عليه السّلام بزمن طويلٍ. ومنها أنّ ثمّ لعطف الأمر، في قوله **جلّ جلاله:"قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ"**[91]،ويقدّر: "ثمّ قلْ آتينا موسى"[92]؛ وهو من قبيل عطف الخبر على الخبر. وما سبقه أقوى منه حكماً وحجّةً، وأرجح منه كفّةً ووزناً. وإن كان العطف بـ"**ثمّ**"في الأخبار المختلفة، جائزاً في التّقديم والتّأخير، وممتنعاً فاسداً في الخبر الواحد. ومنها أنّ قوله تعالى: **"تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً"**[93] تدلّ على مطابقة أحكام الكتاب المنزّل على موسى عليه السّلام للتكاليف الإلهيّة، لبني آدم جميعهم، في شرائع الأنبياء **عليهم السّلام**[94]. أو يكون أيضاً من قبيل عطف الخاصّ على العامّ؛ في نحو **عزّ وجلّ: "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا"**[95] من تمام شريعة موسى عليه السّلام وكمالها، وفضلها على ما سبقها من الشّرائع، وهداها وتفصيلها[96].

10/ لقد وافقت الخصائص الكميّة الفونيميّة، والمخرجيّة الصّوتيّة لـ"**حَتَّى**"ما دلّت عليها من دلالات ومعانٍ، خصّت هذا الحرف، دون سواه من أحرف النّسق؛ إذ ومن خصائص فونيم الحاء المخرجيّة في الحلق، وهي أوائل الفونيمات العربيّة

نطقاً، وكذا الألف المدّيّة اللّيّنة عند الجوف، وهي في أوّل المخارج، أنّهما يوافقان انتهاء الغاية[97]، الّتي لزمت لها الابتداء، وذلك من فونيم الحاء عند الحلق، إلى امتدادها مع خروج النّفس، المتمادّ مع الألف، مروراً بالتّاء المدّغمة في مثيلتها، الموافقة لمعنى التّدرّج في **حتّى**[98]. وعلى هذا يرجّح قول الزّمخشري(538ه) في معنى **حتّى** للتّرتيب كالواو[99]، لأنّ التّدرّج في معنى التّرتيب[100]؛ ومنه قول الشّاعر:

رجالي حَتَّى الأقدمون تمالأوا ÷ على كلّ أمر يُورث المجد والحمدا[101].

11/ لقد اختصّت **حتّى** بمرونتها الكميّة الفونيميّة، فوافقت دلالة الغاية، في أحوالها الأربع[102]:الخافضة والعاطفة والنّاصبة[103]، والمبتدأ بها(حرف استئناف)؛ وعلى هذا رُوي البيت، بثلاثة أوجهٍ:

ألقى الصّحيفةَ كيْ يخفِّف رحلَهُ ÷ وَالــزّاد حَتَّى نعلَهُ ألقاها[104].

ولمّا كانت **حتَّى** حرف ابتداء، ينضاف إلى معنى الغاية الملازم لها، ابتدأت الغاية، وانتهت بها، موافقةً لما لها من الخصائص الكميّة الفونيميّة، ابتداءً بالحاء بخروج النّفس، مع الألف المديّة الصّائتة.

12/ لقد دوّن النّحاة ملاحظات الفروق الدّلاليّة، بين العطف **بحَتّى(3-2)"cvc-cvv"** وبين العطف بالواو **(1) "cv"**إذ اشترطوا في العطف بها، في أقلّ أحواله؛ ولعلّ ما يفسّر هذا التّركيبة المقطعيّة لحتّى، الّتي تعدّ أكثر كلفةً، مقارنةً بنظائرها العاطفة، فخفّف عند العطف بها، بوضع معطوفها وضعاً تركيبيّاً مهيّئاً لموازنة الثّقل الكميّ الفونيميّ النّاتج عن اقتران **حتّى** وبعض التّراكيب النّحويّة المحتملة، والّتي تعدّ في رأي النّحاة، غير جائزة في العربيّة؛ وإن كان الأصل في العطف رفع الثّقل الفونيميّ عن التّركيب بإعادة العوامل، وغيرها المكرورة.

ولعلّ أهمّ ما دوّنه النّحاة، من شروط في معطوف **حتّى**:

أ- أن يكون اسماً ظاهراً، لا ضميراً، فلا يجوز: "قام النّاس حتّى أنا"وإن لم يذكر هذا غير ابن هشام الخضراوي (646ه) ومن بعده[105]. ولعلّ مسوّغ هذا،أنّ الضّمير جائزٌ في هذا التّركيب، لما له من الخفّة الكميّة الفونيميّة، وأمّا مسوغ الاسم، دون غيره من الفعل والحرف، فالفعل أثقل بالحدث والزّمن، وتعلّقه بما بعده في الجملة الفعليّة، من الفاعليّة والمفعوليّة، والمتمّمات النّحويّة، ودخول الحرف على الحرف ممتنعٌ، إلاّ في بعض الأحوال، لثقلها بتعلّق معناها بغيرها.

ب- أن يكون مفردا، لا جملةً، في أعمّ الأحوال؛ ومسوّغه الكميّ الفونيميّ الخفّة، وأمّا الدّلالي، فالتّعلّق بما قبله من الجزئيّة أو شبهها[106]. وقد يجوز الجملة بالفعل[107]؛ ومنه بيت امرئ القيس:

سَرَيتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلُّ مَطِيُّهُمْ ÷ وَحَتَّى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بِأَرْسانِ[108].

وعلى رواية الرّفع في **تكلُّ** بالعطف على جملة **سريت**، فيكون مسوّغه، أنّ الفعل مضارعٌ، وسمّي كذلك لشبهه بالاسم، في الإعراب والخفّة، وهو قاصرٌ أيضاً استغنى بفاعل عن مفعوله، فخفّ خفّة الاسم، لاسيما أنّ الرّواية عن شاعر مطبوع.

أو قد يسوّغه أنّ"**حتّى**"حرف استئناف[109]، فارتفع بعدها الفعل المضارع، وعُطِفت عليه الجملة الاسميّة"**حتّى**"الجِيادُ ما يُقَدْنَ بِأَرْسانِ"بالواو، وحَتَّى لزيادة التّوكيد؛ أو يحتمل تقدير آخر غير هذا، ممّا رامه الشّاعر في خاطره

ج- يتعلّق الشّرط الأخير بالدّلالة، من بلوغ غاية الزّيادة **بحتّى**، وهو أصل العطف بها: الحسّيّة منها؛ في نحو:"فلان يهب الأعداد الكثيرة حتّى الألوف"، والمعنويّة؛ في نحو: "المؤمن يجزى بالحسنات حتّى مثقال الذّرّة"و"غلبك النّاس حتّى الصّبيان أو النّساء"[110]. وقد اجتمعا في قوله:

قَهرْناكمُ حتّى الكماةَ فأنتمُ ÷ تَهابونَنا حتّى بَنِينَا الأَصاغِرَ[111].

تتعلّق دلالة المعطوف، بأن يكون بعضاً من المعطوف عليه بالتّحقيق؛ نحو:"أكلت السّمكة حتّى رأسها" أو كونه كبعض منه بالتّأويل؛نحو: "أعجبتني الجارية حتّى حديثها"[112]. ومنه أيضاً بيت المتلمّس[113]، فيما سبق ذكره.

13/ لقد تبيّن أنّ حسن دخول الاستثناء، بعدّه مقياساً لاستبيان حسن استخدام **حتّى** في التّركيب، من حيث الصّحّة والخطأ دلالةً؛ إلاّ أنّ المسوّغ الصّوتي أغرب في هذا المقام، إذ اتّضح أنّ الأصل في أدوات الاستثناء **إلاّ[(1-2)(cv-cvv)]**، وهي الأكثر دوراناً في العربيّة، تماثل حتّى مقطعياً. فلمّا كان الاستثناء **بإلاّ** كثيرٌ، والعطف

بـ **حتّى** قليلٌ، أخذ معيار الاستحسان بالأكثر استعمالاً، فيقاس عليه الأقلّ، من حيث الذّلاقة الفونيميّة، والانسياب الفونيميّ.

- **نتائج البحث :**

لعلّ من طيب نتائج هذا البحث، أنّه يحيل النّاظر إليه، على ثلّة من النّتائج العلميّة، في فنّ اللّسانيّات الكمّيّة، بالمقاسات العلميّة الدّقيقة، وقد يضع اللّبنات الأساس، والقدم الرّاسخة، في الدّرس اللّساني العربي الحديث، إن استحسن استثمار المباحث العلميّة للعلوم الدّقيقة، في نظيرتها اللّسانيّة، فيقلّ من الآراء النّسبيّة، الّتي رانت عليها، ويرفع سهمها في بورصة العلوم. فلعل من النّتائج الطّيّبة الثّمار، ما يلي:

1/ يعدّ استثمار النّظريّات العلميّة الدّقيقة، في الدّرس اللّساني العربي الحديث حتميّةً علميّةً قاهرةً، لاسيما أنّه ينماز عن غيره بالمدوّنة القرآنيّة المثاليّة.

2/ تعدّ المقاربة الكيميائيّة، في معالجة المباحث اللّسانيّة، مقاربة ذات كفايةٍ طيّبة النّتائج.

3/ تعدّ النّظريّة الكمّيّة الفيزيائيّة، في معالجة المباحث اللّسانيّة، للدّرس النّحويّ الكلاسيكي، نظريّة عالية الكفاية، في هذا الباب.

4/ يجب مراعاة الصّفات الكمّيّة الفونيميّة للوحدات، أو العناصر اللّسانيّة الإفراديّة، المترافعة في الكمّ ابتداءً بالفونيم إلى ما يزيد عليه كمّاً؛ ومنها أحرف النّسق.

5/ تحوي أحرف النّسق **83.33%** من الفونيمات الذّلقيّة، ذات الخفّة الكمّيّة، في ذاتها، وفي غيرها من عناصر التّراكيب اللّسانيّة.

6/ توحي الخصائص الكمّيّة الفونيميّة لأحرف النّسق، إلى مناسبة دلاليّة، للوظيفة النّحويّة الّتي تؤدّيها.

7/ تحدّد الخصائص الكمّيّة الفونيميّة طبيعة العناصر اللّسانيّة الإفراديّة.

8/ تحدّد الخصائص الكمّيّة الفونيميّة لأحرف النّسق الفروق الدّلاليّة للوظيفة النّحويّة، لكلّ واحد منها.

9/ يقابل التّقارب الكمّي الفونيمي لأحرف النّسق، شركتها في الوظيفة النّحويّة، مع مراعاة الفروق الكمّيّة، وما يترتّب عنها من نظيرتها الوظيفيّة.

10/ تعدّ الخصائص الكمّيّة الفونيميّة معياراً علمياً، وحكماً فيصلاً، في الآراء النّحويّة الكلاسيكيّة؛ ومنها باب أحرف النّسق، وقد يتعدّاه إلى مباحث نحويّة أخرى.

11/ تتقاطع المدوّنة القرآنيّة المثاليّة، والخصائص الكمّيّة الفونيميّة، في نقاط كثيرة؛ إذ تعدّ الأولى أصدق مدوّنةٍ، تظهر الكفاية العليا لنظريّة الكمّ الفونيميّة.

12/ تتقاطع نظريّة الكمّ الفونيميّة، والجهود الفونولوجيّة العربيّة الكلاسيكيّة، في مباحث متلئبّة، لاسيما النّظريّة الفونولوجيّة لدى ابن جنّي في تفسيره للظّواهر النّحويّة العربيّة.

13/ تحيلنا نظريّة الكمّ الفونيميّة، على آفاق لسانيّة واعدة، لاسيما المتعلّقة بتلك الّتي تخصّ إعادة ترتيب الدّرس النّحوي العربي الكلاسيكي، وفق المعايير اللّسانيّة الحديثة.

هوامش البحث:

1- ينظر:عبد الرّحمن الحاج صالح:"بحوث ودراسات في علوم اللّسان"الجزائر- موفم للنّشر- ط1-2012م- ص:21.

2- سورة فصّلت- الآية: 42.

3- ينظر:الإستراباذي رضي الدّين محمّد بن الحسن(686ه):"شرح كافية ابن حاجب"لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط1-1415ه/1995م-ج:1- ص:318 وما بعدها.

4- ينظر:ابن هشام الأنصاري(671ه):"أوضع المسالك"تحقيق:محمّد محيّ الدّين عبد الحميد- لبنان- بيروت- دار إحياء التّراث العربي- ط5-1966م-ج:3- ص:37وما بعدها.

5- تم التعويل في ترصّد المباحث الكميّة الفونيميّة على مصادر الدّرس الصّوتي قديمه وحديثه؛وهي:

- الخليل بن أحمد الفراهيدي(100-175ه):"كتاب العين"تحقيق مهدي المخزومي،وإبراهيم السّامرائي- العراق- بغداد- مطبعة الرّشيد- ط1-1400ه/1980م.

- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(180ه):"الكتاب"مصر- القاهرة- مكتبة الخانجي- والمملكة العربية السّعودية- الرّياض- دار الرّفاعي- ط2-1402ه/ 1982م.

- ابن جنيّ أبو الفتح عثمان(392ه):"سرّ صناعة الإعراب" تحقيق:محمّد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط2- 1428ه/2007م.

- ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي(428ه):"رسالة أسباب حدوث الحروف"تحقيق:محمّد حسّان الطّيّان،ويحيى مير علم- تقديم ومراجعة:شاكر الفحّام،وأحمد راتب النّفّاخ- سورية- دمشق- مطبوعات المجمع اللّغوي- ط1-1983م.

- المهدوي أبو العبّاس أحمد بن عمّار(440ه):"شرح الهداية"تحقيق:حازم سعيد حيدر- المملكة العربية السّعودية- الرّياض- مكتبة الرّشد- ط1- 1415ه/1995م.

- ابن يعيش موفق الدّين(643ه):"شرح المفصّل"لبنان- بيروت- عالم الكتب- (د/ط)- (د/ت).

- ابن الجزري:"النّشر في القراآت العشر"لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة-(د/ط)-(د/ت).

- إبراهيم أنيس(1977م):"الأصوات اللّغوية"مصر- القاهرة- المكتبة الأنجلو مصريّة- ط4-1971م.

- بشر كمال:"علم الأصوات"مصر- القاهرة- دار غريب- (د/ط)-2000م.

- بركة بسّام:"علم الأصوات العامّ"لبنان- بيروت- مركز الإنماء القومي- (د/ط)-1988م.

- النّيرباني عبد البديع:"الجوانب الصّوتية في كتب الاحتجاج للقراءات"سورية- دمشق- دار الغوثاني للدّراسات القرآنية- ط1-1428ه/2006م.

6- القصد بالحرف:حرف المعنى وليس المبنى الّذي يقابل الفونيم في تصوّر سيبويه.

7- ينظر: محمّد نجيب مغني صنديد(المؤلّف):"نظريّة التّفسير الصّوتي في القرآن الكريم - قراءة لسانيّة في الموافقات الدّلاليّة للمباحث الفونولوجيّة والأدائيّة- جمهوريّة لاتفيا -ريغا- شارع بريفيباس غاتف- مؤسّسة نور للنّشر- ط1- 2018م- ص:151...154.

8- ينظر:"دروس في اللغة العبرية"- لبنان- بيروت- دار النّهضة العربية- (د/ط)1978م- ص:13 .

9- ينظر:المؤلّف- رسالة قدّمها لنيل شهادة ماجستير في اللّسانيات العربيّة؛موسومة:"البناء التّشكيلي للفواصل القرآنيّة وأثره في الدّلالة"إشراف:أد:خير الدّين سيب-الجزائر- جامعة تلمسان-1427ه/2006م- ص:94و95.

10- المرجع نفسه –ص:95.

11- ينظر:ابن عقيل بهاء الدّين عبد الله(769ه):"شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"تحقيق:محمّد محيي الدّين عبد الحميد- مصر- القاهرة- مكتبة دار التراث- ط2-1420ه/1999م- م:1-ج:1- ص:28 وما بعدها.

12- ينظر:الأشمّوني أبو الحسن علي نور الدّين بن محمّد بن عيسى(929ه):"شرح الأشمّوني لألفية ابن مالك" تحقيق: محمّد محيّ الدّين عبد الحميد-مصر-القاهرة-المكتبة الأزهرية للتراث-(د/ط)-(د/ت)-ج:3- ص:168و169.والصّبّان محمّد بن عليّ(1206ه):"حاشية الصّبّان على شرح الأشمّوني على ألفيّة ابن مالك"تحقيق:عبد الحميد هنداوي- لبنان- بيروت- المكتبة العصرية - ط1-1425ه/2004م-ج:3-ص: 141.

13- الإضراب هو الإبطال والنفي.ينظر:الفيروزآبادي أبو طاهر مجد الدّين محمد الشّيرازي(817ه):"القاموس المحيط" مصر- القاهرة- الهيئة العامّة للكتاب- نسخة مصوّرة من الطبعة الثّالثة- عن المطبعة الأميرية-1301هـ مادّة(بَلَ).

14- ينظر:ابن النّاظم محمّد بن محمّد بن مالك الطّائي(686ه):"شرح ابن النّاظم على ألفيّة ابن مالك"لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط- 1420ه/2000م- ص:371. وابن هشام:"أوضح المسالك"ج:3- ص:37و38.

15- ينظر:ابن سرّاج محمّد بن سهل:"الأصول في النّحو"تحقيق:عبد الحسين الفتلي-لبنان- بيروت-مؤسّسة الرّسالة-ط4-1420ه/1999م-ج:1- ص:322.وأبو حيّان محمّد بن يوسف الأندلسي(745ه):"ارتشاف الضّرب من كلام العرب"تحقيق:مصطفى أحمد النّمّاس- القاهرة- المكتبة الأزهريّة للتّراث- ط1-1417ه/1997م- ج:2- ص:629.

16- ينظر:أبو حيّان"النّكت الحسان في شرح غاية الإحسان"تحقيق:عبد الحسين الفتلي-لبنان- بيروت-مؤسّسة الرّسالة-ط1-1405ه/1985م- ص:131.وابن هشام:"أوضح المسالك"ج:3- ص:38.

17- ينظر:ديوان لبيد بن ربيعة العامري(545؟-661م)- لبنان- بيروت- دار صادر- (د/ط)- (د/ت)- ص: 141.

18- ينظر:المؤلّف- رسالة قدّمها لنيل شهادة دكتوراه في اللّسانيات العربيّة؛موسومة:"مظاهر التّفسير الصّوتي في القرآن الكريم بين اللّغويين والمفسّرين"إشراف:أد:خير الدّين سيب-الجزائر- جامعة تلمسان-1435ه/2014م- ص: 124 ما بعدها.

19- ينظر:الخليل:مقدّمة"العين"ج:1- ص:52.

20- ينظر:المؤلّف:" نظريّة التّفسير الصّوتي في القرآن الكريم"- ص:146،وما بعدها.

21- ينظر:أبو حيّان"النّكت الحسان"ص:127.و:"شرح ابن عقيل"ج:3- ص: 224.

22- سورة الحديد- الآية:26.

23- سورة الشّورى- الآية:03.

24- ينظر:ابن هشام:"أوضح المسالك"ج:3- ص:39.

25- سورة العنكبوت - الآية:15.

26- ينظر:ابن هشام:"مغني اللّبيب"ج:2- ص:408،وما بعدها.

27- ديوان امرئ القيس حندج بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار(500-540م)"الدّيوان وملحقاته بشرح أبي سعيد السّكري"تحقيق:أنور عليان أبو سويلم ومحمّد علي الشّوابكة- الإمارات المتّحدة- العين- مركز زايد للتّراث والتّاريخ- ط1- 2000م- ص:164.

28- ينظر:ابن هشام:"مغني اللّبيب"ج:1- ص:184.و"أوضح المسالك"ج:3- ص: 40.

29- ينظر:المصدران والصّفحتان.

30- ديوان امرئ القيس- ص: 167.

31- المصدر نفسه- ص:654.

32- ديوان كثيّر عزّة:تحقيق:إحسان عبّاس- لبنان- بيروت- دار الثّقافة- (د/ط)-1391ه/1971م- ص:475.

33- ينظر:ابن هشام:"شرح قطر النّدى"تحقيق:محيي الدّين عبد الحميد- لبنان- بيروت- صيدا- المكتبة العصريّة- ط4-1421هـ/2000م- ص: 337.

34- ينظر ابن النّاظم:"شرح ابن النّاظم"- ص:372.وابن هشام:المصدر نفسه والصّفحة.

35- سورة النّساء - الآية:163.

36- سورة نفسها والآية.

37- سورة البقرة والآية:253.

38- سورة الأعراف- الآية:122.

39- سورة طه- الآية:70.

40- سورة البقرة والآية:253.

41- ينظر:البقاعي برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر(885هـ):"نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور"تحقيق: عبد الرّزّاق غالب المهدي- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط3-1427هـ/2006م-ج:3- ص:84.والألوسي أبو الفضل شهاب الدّين السّيّد محمود(1270هـ):"روح المعاني- تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني"لبنان- بيروت- دار إحياء التّراث العربي-(د/ط)- (د/ت)-ج:5- ص:37.

42- ينظر:السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(911هـ):"الإتقان في علوم القرآن"تحقيق:محمّد أبو الفضل إبراهيم- مصر القاهرة- مكتبة التراث- (د/ط)- (د/ت)-ج:3- ص:296.

43- ينظر:البقاعي:"نظم الدّرر"ج:5- ص:30.

44- ينظر:الألوسي:"روح المعاني"ج:5- ص:37.

45- سورة طه الآية:68.

46- ينظر:أبو حيّان:"ارتشاف الضّرب"636/2- و:"النّكت الحسان"127.

47- ينظر:المكّودي أبو زيد عبد الرّحمن بن على بن صالح(726-807هـ):"شرح المكّودي في الألفية"لبنان- بيروت - دار الفكر- ط1-1419هـ/1997م- ص:228.وابن الحاجّ أبو العبّاس سيدي أحمد بن محمّد بن حمدون:"حاشية على شرح المكّودي"المملكة المغربية- الدّار البيضاء- (د/ط)- (د/ت)-ج:2- ص:36.

48- سورة عبس- الآية:21.

49- سورة الأعراف- الآية:04.

50- ينظر:الزّمخشري أبو القاسم جار الله بن عمرو الخوارزمي(538هـ): "الكّشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل"تحقيق:يوسف الحمّادي- مصر- مكتبة مصر- (د/ط)- (د/ت)-ج: 2- ص:142.والرّازي محمّد بن عمر بن الحسن التّيمي البكري:"مفاتيح الغيب- التّفسير الكبير-"قدّم له:هاني الحاجّ- حقّقه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: عماد زكي البارودي- مصر- القاهرة- المكتبة التوفيقية- (د/ط)-2003م-م:7-ج:14- ص:18.

51- سورة المائدة- الآية:06.

52- سورة يس- الآية:82.

53- سورة الأعراف - الآية:04.

54- ينظر:ابن كثير أبو الفداء إسماعيل(700- 778هـ):"تفسير القرآن العظيم"متضمّن تحقيقات محمّد نصر الدّين الألباني- مصر- القاهرة- مكتبة الصّفا- ط1-2004م.- م:2-ج:3- ص:228.و:"البداية والنّهاية"تحقيق:أحمد عبد الوهّاب فيتح- مصر- القاهرة- دار الحديث- ط1-1425هـ/2004م-م1-ج:1-ص:186و196.

55- منها:الأعراف:79...101- وهود:76...95- والشّعراء:160...189- ص:13- ق:13و14.

56- سورة الأعلى- الآية:05.

57- ينظر:الرّازي:"التّفسير الكبير"139/31.والألوسي:"روح المعاني"402/15.

58- ينظر:ابن هشام:"مغني اللّبيب"185/1و186.

59- المرزوقي أبو عليّ أحمد بن محمّد بن الحسن(421هـ):"شرح ديوان الحماسة"تعليق:غريد الشّيخ- وضع الفهارس العامّة: إبراهيم شمس الدّين- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة - ط1-1424هـ/2002م- ص:109.

60- سورة القصص- الآية:15.

61- ينظر:ابن هشام:"مغني اللّبيب"185/1.

62- سورة الواقعة- الآيات:52و53و54.

63- سورة الذّاريات- الآيتان:26و27.

64- ينظر:الإستراباذي:"شرح الكافية"ج:1- ص:322و323.و"شرح ابن عقيل"ج:3- ص:228.و"حاشية الخضري" ج:2-ص:62.

65- سورة الحجّ- الآية:63.

66- ديوان ذي الرّمّة"تقديم:أحمد حسن بسج-لبنان-بيروت-دار الكتب العلميّة- ط1-1415هـ/1995م- ص:180.

67- ينظر:ابن مالك:"شرح التّسهيل-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"تحقيق:أحمد السّيّد سيد أحمد علي- مصر- القاهرة- المكتبة التّوفيقيّة-(د/ط)-(د/ت)-ج:3- ص:242.و"شرح الأشمّوني"ج:3- ص:176.و"حاشية الصّبّان" ج:3-ص:149.

68- ينظر:"شرح المكّودي"- ص:228.و"حاشية ابن حمدون"ج:2- ص:36.

69- سورة عبس- الآيتان:21و22.

70- ينظر:ابن هشام:"مغني اللّبيب"ج:1- ص:135.و"حاشية الأمير على المغني"سوريّة- دار الفكر-(د/ط)- (د/ت) -ج:1- ص:107.

71- ينظر:ابن مالك:"تسهيل الفوائد"ج:3- ص:245وابن هشام:المصدر نفسه والصّفحة.

72- ينظر:ابن هشام:المصدر نفسه والصّفحة.و"شرح الأشمّوني"ج:3- ص:174.و"حاشية الصّبّان"ج:3- ص:149و150.

73- ينظر:أبو حيّان:"ارتشاف الضّرب"ج:2- ص:639.

74- سورة التّوبة- الآية:118.

75- ينظر:ابن مالك:"تسهيل الفوائد"ج:3- ص:245.

76- ينظر:المصدر نفسه والصّفحة.

77- السورة نفسها والآية.

78- سورة التّوبة - الآية:117.

79- صحيح البيت: أَراني إِذَا بِتُّ بِتُّ على هَوىً ÷ وأنّي إذا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَادِيَا

"ديوان زهير بن أبي سلمى"تقديم:علي حسن فاعور- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط1-1408هـ/1988م- ص:140.

80- ينظر:ابن مالك:"تسهيل الفوائد"ج:3- ص:245.

81-1-"ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ(199هـ)"تقديم:علي حسن فاعور- بيروت- دار الكتب العلميّة-ط1-1408هـ/ 1988م- ص:140.

82- سورة الزّمر- الآية:06.

83- سورة السّجدة- الآيات:07و08و09.

84- سورة الأنعام- الآيتان:153و154.

85- ينظر:ردود ابن هشام على هذا في:"مغني اللّبيب"136/1.

86- ينظر المصدر نفسه والصّفحة.

87- ينظر:ابن مالك:"تسهيل الفوائد"ج:3- ص:242و243.و"شرح ابن النّاظم"374.و"شرح الأشمّوني"ج:3- ص: 172و173.

88- ينظر:ديوان حميد ابن ثور الهلالي وفيه بائية أبي دؤاد الإيّادي-صنعة:عبد العزيز الميمني- القاهرة- دار الكتب المصريّة-1371هـ/1951م- ص:43.

89- سورة الأنعام- الآيتان:153و154.

90- ينظر:الزّمخشري:"الكشّاف"ج:2- ص:136.والرّازي:"التّفسير الكبير"م7-ج:14- ص:04.

91- سورة الأنعام - الآية:151.

92- ينظر: الطّبري أبو جعفر محمّد بن جرير(224-310هـ)"جامع البيان عن تأويل القرآن"تحقيق:عبد الله عبد المحسن التّركي- مصر- القاهرة- دار هجر- ط1-1422هـ/2001م- م4-ج:8- ص:93.وابن كثير:"تفسير القرآن العظيم"218/3.

93- سورة الأنعام - الآية:154.

94- ينظر الطّبري:المصدر نفسه:م4-ج:8- ص:94.

95- سورة القدر- الآية:04.

96- ينظر:الزّمخشري- المصدر نفسه-ج:2- ص:136وابن كثير:المصدر نفسه والصّفحة.

97- ينظر:ابن يعيش موفق الدّين(643هـ):"التّهذيب الوسيط في النّحو"تحقيق:فخر صالح سليمان قدارة- لبنان- بيروت- دار الجيل- ط1-1411هـ/1991م- ص:216.والاسطربادي:"شرح الكافية"ج:1- ص:324- والسفاقسي برهان الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق القيسي المالكي(742هـ):"التّحفة الوفيّة بمعاني حروف العربيّة" ضمن رسائل في النّحو والصّرف"تحقيق:محمّد عبد السّلام محمّد- مصر القاهرة- دار الآفاق العربيّة- ط1-1432هـ/ 2011م- ص:41.

98- ينظر:ابن هشام:"شرح قطر النّدى"ص :329.

99- ينظر:ابن يعيش:"شرح المفصّل"لبنان- بيروت-عالم الكتب- (د/ط)- (د/ت)-ج:8- ص:17و18.

100- ينظر اعتراض ابن هشام على هذا:"شرح قطر النّدى"-ص:340-والأشمّوني:"شرح الأشمّوني"ج:3- ص: 181.

101- البيت مجهول القائل وهو من مرويات النّحاة في باب حتّى.

102- ينظر:ابن جنّي:"اللّمع في العربيّة"تحقيق:حامد المؤمن- لبنان- بيروت- عالم الكتب ومكتبة النّهضة العربيّة-ط2-1405هـ/1985م- ص:132و133.

103- ليست عاطفةً،عند الكوفيين،ويعربون ما بعدها على الإضمار عاملٍ؛ينظر:ابن مالك:"ارتشاف الضّرب"ج:2- ص:631 و632- وابن هشام:"مغني اللّبيب"ج:1- ص:147.

104- البيت مجهول القائل وهو من مرويات النّحاة في باب حتّى.

105- ينظر:ابن هشام:"أوضح المسالك"ج:3- ص:44.و:"مغني اللّبيب"ج:1- ص:146.و:الأشمّوني"شرح الأشمّوني" ج:3- ص:179.

106- ينظر:ابن هشام:"مغني اللّبيب"146/1- والأشمّوني:المصدر نفسه-ج:1- ص:180.

107- يجيز الأخفش العطف بها،في هذا الموضع،إن كانت سبباً،تماماً كالفاء- ينظر:ابن مالك:"ارتشاف الضّرب"ج:2- ص :649.

108- جاء في الدّيوان: مَطَوتُ بِهِمْ حَتَّى تَكَلُّ غَزاتُهُمْ ÷ وَحَتَّى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بِأَرْسانِ.

ينظر:ديوان امرئ القيس- ص:496.

109- ينظر:ابن مالك:المصدر نفسه والصّفحة.

110- ينظر:ابن هشام:"أوضح المسالك"ج:3- ص:46.و:الأشمّوني"شرح الأشمّوني"ج:3- ص:178.و:الصّبّان: "حاشية الصّبّان"ج:3- ص:151.

111- البيت مجهول القائل وهو من مرويات النّحاة في باب حتّى.

112- البيت الشّاهد نفسه.

113- ابن هشام:"أوضح المسالك"ج:3-ص:44و45.و:الأشمّوني"شرح الأشمّوني"ج:3-ص:177.و:"حاشية الصّبّان" ج:3-ص:151.